

الترويض الإلهي للمؤمنين !

الترويض الإلهي للمؤمنين !

لا يفهم كثير من المسلمين لماذا يرتب الله عقوبة كبرى على أمر يرونه صغيراً! لأنهم لا يعرفون سنة الله في خلقه؛ أمثلة :

2المثال الأول:

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [٢] {الحجرات} عجب!

قد تحبط الأعمال لمجرد رفع الصوت فوق صوت رسول الله؟ هل هذه جريمة تستحق إحباط الأعمال؟ والجواب ، هذا قرآن كريم، وهنا يجب أن تبحث عن إجابات مقنعة لك؛ ولا يمكن إلا بمعرفتك لسنة الله في التمهيد والابتلاء والفتنة؛ كان بعض الناس يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي لأغراض في أنفسهم غير ما تتوقعه، بمعنى؛ كانت الوفود تأتي، فيقوم بعضهم ويرفع صوته فوق صوت النبي ليرسل رسالة عبر أولئك الوفود، بأنه ذو مكانة، وأنه يسامي النبي في مكانته ومشورته؛ لا تستغرب أن يحبط عمل من كانت نيته هكذا؛ يرفع الصوت ويتقدم بين يدي رسول الله... حتى يقول الوفود: ما شاء الله؛ لم نعرف النبي من وسط هؤلاء الخ! نعم؛ قد يحبط الله عمل المسلم إذا كانت نيته هكذا؛ كما أحبط عمل إبليس في أمر كهذا؛ أي أمور قلبية: كبر/ علو / حسد/ مطامع/ آمال، أهداف بعيدة.. الخ إبليس معصيته قلبية بالدرجة الأولى (أبى واستكبر)؛ وقد قص الله علينا قصته وقصة من كفروا من الأمم (أبشر يهدوننا)؟

احذر الكبر والتعالي والحسد؛ وذلك أتى ذكر القلب بعد الآية السابقة؛ وهو قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [٣] {الحجرات} إذا؛ هؤلاء قد تروضوا، بخلاف أولئك؛ فليتروضوا؛ أي؛ ما دام أنهم قد آمنوا بالنبوة لهذا النبي، فلا بد أن يستعدوا للسمع والطاعة والاحترام والاستسلام لحكمه... الخ؛ الإيمان العام الشكلي لا يكفي.

مثال ٢

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ قُلُوبُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٩٤] {المائدة}

هنا أيضاً قد يستغرب البعض، معقول؟ هل يعقل أن الله سيغضب المؤمن إذا خالف أمره في صيد أرنب أو غزالة أو نعامة؟ قلنا انتبهوا لسنة الله من الابتلاء والتمحيص؛ ركزوا على أول الآية؛ ماذا قال الله في البداية (لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ)؛ هنا ترويض للمؤمنين أيام النبي نفسه، وإخبار خاص بأنه سيبتليهم بأمر قد يرونها سهلة؛ ولكنه أخبرهم أنه سيغضبهم عليها وإن كانت في نظرهم سهلة؛ لماذا؟ لأنه أخبر مسبقاً بأن هذا ابتلاء (كأصحاب طالوت مع النهر)؛ (إن الله مبتليكم بنهر).

الله له سننه وقوانينه في ترويض المؤمنين على الطاعة التامة، ربما ليس الهدف الشيء المبتلى به (صيد / نهر)؛ وإنما لما بعد ذلك من أوامر صعبة! حتى معصية إبليس قد تبدو سهلة، لم يسجد لآدم فقط! هنا أيضاً لا تقيس سهولة الأمر أو صعوبته على عقلك، فموقع إبليس كان متقدماً جداً، وليس عادياً؛ بمعنى؛ لو كان إبليس جاهلاً لعفا الله عنه، كما عفى عن آدم وحواء في أكلهما من الشجرة، ولكنه سبب إبانة كان الكبر لا الجهل، فمسؤوليته مضاعفة.

افهموا أسرار الله في الابتلاء؛ نعم؛ الله غفور رحيم، ولكن هو أعلم أين يضع رحمته ومغفرته وحلمه؛ المتكبر غير الجاهل؛ لا يتسامح الله مع الكبر أبداً؛ وخاصة إذا تقدم الله بأمر كأمره للملائكة - ومعهم إبليس - مرة بعد مرة؛ وتقدم للمؤمنين بعد رفع الصوت؛ وتقدم لهم بالإخبار بالابتلاء في الصيد الخ.

من يتعamy عن أوامر الله التي يتقدم بها؛ فهذا يعني أنه متعال متكبر لا يبالي من أمره ومن نهاه، إنه الله فانتبه! لا تستهن بأمره وتتعامى وتتكبر؛ المعاصي أخف، أي التي تقع نتيجة الضعف البشري لا الكبر؛ أما ما تعرف أنه ابتلاء وتمحيص (اختبار)؛ فاعلم أن الاختبار ليس فيه إلا نجاح أو رسوب فقط.

انظروا إلى قول طالوت ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي.﴾

عقوبة شديدة؛ لكنه أخبرهم أنه اختبار ابتلاء؛ وللأسف أنهم شربوا منه إلا القليل {فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ}؛ مع أن هؤلاء صفوة، بعد اختبار سابق (أنى يكون له الملك علينا)؟ وهذه الصفوة التي لم تشرب ضعفت أيضاً {فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ} فالذين قال فيهم أنه ليسوا منه، لا يصح فيهم أن يكونوا من

(الذين آمنوا معه) ..

سلسلة ابتلاءات، وفي كل مرة تخرج الفئة الأكثر؛ ترويض، ابتلاء، تمحيص.

موضوع الترويض الإلهي للمؤمنين يجب أن نفهمه ضمن سنن الله في الابتلاء والفتنة والتمحيص، وهو موضوع أهملته الثقافة النفاقية ليكتموا علينا فشلهم؛ موضوع الترويض الإلهي للمؤمنين كأنه يقول: أي حد تستطيعون الله؟ هل عندكم حدود تطلبون من الله ألا يتعداها؟ أم أن طاعتكم مطلقة؟ اختاروا !!.. ولذلك؛ أتى موضوع (الذين يحادون الله ورسوله)؛ أي يجعلون لله ورسوله حدوداً لا يتعدونها بسبب كبرهم وكونهم يمنون على الله أن أسلموا! دقائق خطيرة!

الترويض الإلهي فيه هذه الأسرار؛ فانتبه تسلم؛ لأن من أهملها من على الله بإيمانه، وجعل لله حدوداً، وتصلبت ملكاته، وساعت سيرته، وحبط عمله..

طبيعي؛ معظم ما وقع فيه المؤمنون من الذنوب هو نتيجة لاستخفافهم بسنن الله؛ يرون أنهم قد فعلوا وفعلوا وفعلوا... وخلص، قد سبقوا الله إلى توقع النعيم! كلا كلا (أحسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا)؟ (وما نحن بمسبوقين).. لا تسبق الله بالحكم، فإن له سنناً وقوانين يختبر بها المستحقين لرضاه (إن الله لا يخدع عن جنته) كما قال الإمام علي.. تمهل! استعد؛ فقد يختبر الله إيمانك بأبسط الأشياء؛ شربة نهر، أو صيدة غزال؛ فما بالك بالأعظم؟

نعم؛ قد تعصي الله معاصٍ كبيرة نتيجة جهل/ اضطراب/ مع انكسار وخوف، فيعفو عنك؛ لكن؛ أن تعصيه في يسير وأنت تمن بإسلامك وتحد له الحدود؛ فهذا أعظم!

مقياس الله في قلبك لا جوارحك؛ هل فعلت هذه المعصية وأنت متكبر مطمئن بأن الله لن يعذبك لصالح أعمالك من قبل؟ أم فعلتها نتيجة ضعف وتطلب المغفرة؟ الأولى فعلها إبليس (معصية قلب مع منة)؛ فلم يغفر الله له؛ الثانية فعلها آدم بجوارح مع لين قلب فغفر الله له؛ انتبه لهذه الأمور؛ افهم الله.

الثقافة النفاقية - بإرشاد شيطاني - عملت جهوداً جبارة لطمس سنن الله، حتى يخفى عليك سبب البلاءات الأولى، وما جرته من فساد معرفي وسلوكي. ليس من مصلحة الشيطان ولا أتباعه - من منافقين وغيرهم - أن تكتشف سنن الله وقوانينه، لأن اكتشافها (يفرملك) عن التهوك والثقة بفساد العلم والعمل.

لا تجعل لله حدوداً؛ لا تمن على الله بسابق عمل؛ لا تحنقر الابتلاءات الصغرى؛ فإن لها ما وراءها من كبارها؛ روض نفسك؛ اسمع؛ ابصر؛ اعقل؛ افهم؛ تواضع؛ اهدأ؛ لا تظن أن الله يبحث عن كثرة أوجهة أو فخر الخ؛ تعالى الله، فالله غني عن العالمين؛ يريد الله النوعية الخالصة المخلصة من الابتلاء؛ يريد نوعية؛ لا تقيس الله على الزعماء الذين يحبون الجمهرة والتطليل؛ كلا كلا؛ أنت لا تعرف الله.

معقول؟ تظن الله مثل فلان وفلان؟؟ صحح معلوماتك عن الله؛ ألا تعلم أن الله ملائكة لا يحصون في هذا الكون؟ منهم ركوع لا يسجدون؛ ويسجدون لا يركعون؛ وصافون لا يتزايلون؛ لم يشغلهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان؟؟ أتظن أن الله - بعد هؤلاء - ينتظر كثرة أو جمهرة من هذه الهبة في هذا الكون، التي اسمها الأرض؟ تعلم.

{إِنَّكُمْ لَذَانِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) [(الصفات)]

المخلصون هي النوعية التي يردها الله فقط؛ وكرر ذلك؛ وترك الأكثريات لإبليس، فلا تغتروا بتزيينه لكم كل كثير، إنما يزين لكم نفسه؛ تخففوا تلتحقوا.

يقول لكم الشيطان أن الظالمين هم الكفار؛ أن المفسدين هم الكفار؛ أن المشركين هم الكفار؛ أن المتكبرين هم الكفار؛ أن الكاذبين هم الكفار..

احذروه رجاء! يريد طمأننتكم؛ فلا ابتلاء ولا فتنة ولا تمحيص ولا استدراج ولا إملاء.. لخ؛ يريد إقناعكم بأن كل هذا في حق كفار قريش؛ أما أنتم فلا أحد مثالكم أبداً!

إبليس ضلل بني آدم كثيراً؛ حصر كل تحذيرات الله في كفار قريش واليهود والنصارى؛ فكل ذم في القرآن رحله الشيطان إلى من ليس له أثر فيكم؛ تلبس مثلاً.

لو سألنا اليوم (طلبة العلم) سؤالاً لكانوا أضل في الجواب من العامة؛ مثلاً؛ أسألهم: من هم الظالمون في القرآن؟ سيقولون: هم الكافرون! يعني أن الظالمين في القرآن عندهم هم الكافرون؛ ولكن جواب الله عكس هذا تماماً؛ قال الله **{وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ [البقرة: ٢٥٤]}**؛ رأيت كيف انتزع إبليس معنى الكفر الباطن (الذي لا بد أن يكون عند كل ظالم) إلى فئة بعيدة، بحيث لا نحذر الكفر ولا حتى الظلم؟! وهما متلازمان.

الكفر الظاهر (عبادة الأصنام)، ليس كل الكفر في القرآن؛ بل أخطر الكفر وأعماقه وأشدّه هو الكفر مع دعوى الإسلام؛ ككفر المنافقين والظالمين (كفر باطن)؛ لم يقل الله **{أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}** في حق عبدة الأصنام؛ وإنما قالها في حق

(من يؤمن ببعض ويكفر ببعض) راجعوا النساء. [150/ 151]

أحيوا الثقافة القرآنية لتراقبوا الله مراقبة تليق به إلهاً وتليق بك عبداً؛ له وحده لا شريك له؛ الله يستاهل أن تكون له منك خلاصتك كإنسان؛ لا يقبل الله منك أن يكون له منك ظاهر الأعمال ولغيره خالص النيات؛ كلا؛ ما أكبرها عند الله!

لحظة! فكيف إذا أعطيت غيره خالص الأعمال والنيات؟؟!

